البنية الحجاجية للمناظرات الكلامية
ـ مُنَاظَرَةُ الجُبَّائِي لِأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِي ـ
[دراسة تداولية]

الباحثة: بسمة زحافـــ جامعة باتنة1

الأستاذ الدكتور: العلمي المكي

الملخص:

تنطلق هذه الورقة من فرضية عدِّ المناظرة الكلامية واقعةً تواصليةً و فعلاً اجتماعيًا وعملاً لغويًا حجاجيًا تفاعليًا. تتم مجرياته داخل نسق حضاري أحادي أوبين أنساق حضارية متعددة. يبدأ بانفتاح الباث على المتلقي ليحدث التفاعل التداولي والتبادل الفكري والوجداني، بناءً على استحضار الطرفين لأنماط خطابية وأدوات لغوية وتقنيات حجاجية يتأسس على تبادل الأدلة ومقارعة الحجة بالحجة قصد الإقناع و الإفحام والانقطاع. فالمناظرة الكلامية خطاب قصدي مُوجَّه، يروم إيقاع التأثير في المتلقي ودفعه إلى الإذعـــان بصحة رأي وترك الرأي المعتَنَق وهو يقتضي من المتناظريْن فعلاً حجاجيًا. وهذا ما سنقاربه إجرائيًا في مناظرة "أبي علي الجُبّائي"لـــــــــــ"أبي الحسن الأشعري"...

الكلمات المفاتيحية: التداولية، الحجاج، المناظرة، أبو الحسن الأشعري، أبو علي الجبّائي.

Abstract :

This research based on the premise that considers the verbal debate as a communicational act, social fact and a linguistic argumentative interactional action. It can be done within single or different civilizational patterns, which stars by the emitter who sends sings to the receptor to make the pragmatic interaction and the intellectual and emotional exchange. Both parties use some speech types, linguistictools and argumentative techniques; they exchange arguments and adopt the adversarial system for convincing, persuasion and discontinuing.Thus, the debate is an intentional and managed speech, aimingto make impact on the receptor and to push him to admit the correctness of the second debater's point of view and change his own. Both debater's needs argumentative action in order to achieve their aim. And that what we are going to do by following a procedural approach on the debate of « Abi Ali Eldjoubai» and« Abi El Hassan El Achaâri »…

keywords:pragmatism,argumentation, debate,Abo Ali Eldjoubai, Abo El Hassan El Achaâri.

مقدمة:

اتَّسع مجال الدراسة اللغوية بصورة تدريجية خلال النصف الأخير من القرن العشرين وتجاوز دراسة العلامة إلى دراسة استخدامها داخل المواقف الاجتماعية، كما تجاوز دراسة الجملة إلى دراسة استخدام المنطوق داخل السياق وهذا ما اصطلح على تسميته بالتداولية Pragmatique. ويعدُّ الحجاج L'argumentation من أهم المباحث التداولية؛ وهو يستهدف دراسة الخطاب والبحث عن الكيفيات والطرائق التي يتبناها المتكلم والإمكانات الفكرية والعاطفية واللغوية التي يُجَنِّدُهَا لإحداث التغيير المطلوب في معتقدات المتلقي وإقناعه لتقبل سلطة الخطاب. ولأنَّ المناظرة فعالية خطابية يتجلى فيها البناء الحجاجي بوصفها الممارسة الحوارية القائمة أساسًا على المجادلة التي يستدعي من خلالها المُناظِر جملة من الحجج والبراهين، ينظم عقدها وفق استراتيجيات فكرية ولغوية فيستميل بذلك عاطفة المخَاطَب ليدافع عن رأيه في المسألة المخصوصة، ويُبَيِّنُفساد مذهب الخصم ويدحض حججه لينقطع المحاجج نهائيًا.

إشكالية الدراسة:

بناءً على ما سبق، يروم البحث الإجابة عن إشكالية فكريةجدلية وهي:

- كيف ينتظم الفعل الحجاجي عند المتكلمين ؟ وتندرج ضمنها هذه الأسئلة الفرعية:
- ما هو طابع المناظرات الكلامية ؟
- ما هي خصائص الحجاج عند علماء الكلام؟
- ما هي إستراتيجيات الحجاج المتبعة من المتكلمَيْن استنادًا على النموذج الكلامي؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة إلى البحث عن كيفيةانتظام الفعل الحجاجي عند المتكلمين من خلال التطبيق العملي لإستراتيجيات الحجاج على مناظرة كلامية جمعت المتكلمَيْن "أبي الحسن الأشعري" و"أبي علي الجبائي" حول توقيفية أسماء الله ولتجلية خصائص المناظرةوتبيُّن آليات اشتغال الحجاج فيها، والجمع بين مطلبي التنظير والتطبيق اعتمدنا مبدأ تظافر المناهج.فقاربنا الموضوع مراوحين بين الاستعراض التاريخي وإثارة السياقات والمرجعيات الاجتماعية والثقافية تارةً، وبين التوسل بأدوات التحليل التداولـــــي والحجاجي تارةً أخرى.

منهجية الدراسة:

حتى لا يكون العمل موغلاً في التنظير، نازعًا إلى التجريد،قسَّمنا العمل إلى قسمين:

الأوَّل: نظري؛ يجمع مفاهيم البحث كتحديد مصطلح الحجاج وتطور مفهومه، ثمَّ التعريف بفن المناظرة ونشأتها وصلتها بعلم الكلام وأركانها ومشروطياتها...

الثاني: ننبري فيه **للاشتغال التطبيقي** على المناظرة المعنيَة لاستخراج الآليات الحجاجية بدءًا بدراسة البنية العامة للمناظرة من حيث أركانُها الكلية والخاصة ثمَّ الإستراتيجيات الحجاجية التي تبناها المتكلمَان في الفعل التناظري على مستوى الشكل والمضمون. ونختم البحث بأهم الخلاصات التي كشفت عنها رحلة المعالجة.

أولاً : مفهوم الحجاج وتطوره :

تُعدُّ مفهمة "الحجاج" خيارًا منهجيًا مُهِمًا يتعيَّن تمثُّله قصد الوعي بإستراتيجيات الحجاج في المناظرة الكلامية.

1. البنية المعجمية للحجاج :

يعود مصطلح الحجاج إلى مادة "حجج"، وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد "الرازي" يقول فيه:« الحج في الأصل: القصد»[1].أمَّا "ابن منظور" فيورد المعاني التالية: «من أمثال العرب: لجَّ فحجَّ؛ معناه لجَّ فغلب من لاجَّهبحججه.يقال: حاججته أُحَاجِجُّه (حجاجًا) ومحاجة حتى حججته؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان؛وقيـــل الحجة: ما دوفع به الخصم وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عن الخصومة. وهو رجلٌ مِحجاجٌ: أي جَدِلٌ ... والتحاجُّ: التخاصم...»[2]وعند "الجرجاني":«الحجَّة: ما دلَّ به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد»[3]يتكشف لنا من خلال ما سبق، وجود تقارب لغوي لأصل الحجاج، الذي يشمل القصد والمقصود والتحاج الذي يفترض طرفي المنازعة والمقارعة بالحجة؛ أي الدليل الذي به تحصل الغلبة على الخصم بعد استمالة المخاطَب والتأثير فيه بطريقة نظم ورصف الحجج نفسها و لهذا تختلفدرجة التأثير والاقتناع وفق الطرائق المنتهجة والآليات المتبعة في التحاجّ...

---

[1]-(محمد بن أبي بكر) الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1 1981، مادة {حجج} .

[2]-(جمال الدين محمد بن مكرم)ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 6، 1997، مادة{حجج}، مج2 ص228.

[3]-(علي بن محمد بن علي الحسيني) الجرجاني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، ط1 2000 ، بيروت، لبنان، باب الحاء، ص 87.

2. المفهوم الاصطلاحي للحجاج:

يكاد يجمع أغلب الدارسين أنَّ أوضح تعريف اصطلاحي للحجاج هو ما قدّمه الدكتور "طه عبد الرحمن" في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" لَمَّا قال: « وحدُّ الحجاج أنَّه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي؛ لأنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية؛ ويهدف إلى الاشتراك جماعيًا في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجَّهًا بقدر الحاجة، وهوأيضا جدلي؛ لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صوراستدلالية أوسع وأغنى من البنيات الهرمية الضيقة...وأن يُفهِم المتكلم المخاطَب معاني غير تلك التي نطق بها؛ تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضاره»[1]فالحجاج بهذا التوصيف ممارسة تفاعلية ضمن سياقات مختلفة يضبط فيها المتكلم بناء استدلالاته وفق صور مخصوصة خدمةً لإستراتيجيات تخاطبية تأخذ في الحسبان ظروف المقام ومقتضياته، فتؤدي مجتمعة إلى إقناع المُخَاطَب بنقيض رأيه.

3. التطور التاريخي لمفهوم الحجاج

لابد من الإشارة السريعة إلى منطلقات الحجاج التأسيسية، وامتداداته التاريخية؛ حيث عُرِف لدى فلاسفة اليونان الأوائل - من أمثال سقراط وأفلاطون والسفسطائيين - بالمنهج الجدلي وتَوَسَّلوه لاستمالة الآخرين والتأثير فيهم.وإذا كان توظيف أفلاطون للحجاج مثمرًا؛ ابتغى به بناء المعرفة الحقَّة،

[1] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 65.

فإنَّ السفسطائيين اتخذوه مطية للتضليل والتشكيك وتعتيم الحقائق والتلاعب بالعقول ووجهوه نحو مطالب الحياة العملية ومطالب المجتمع [1].

وكان"أرسطو"ممَّن نظرإلى فنّي الخطابة والشعرمعًا، واستند في الخطابة إلى ما وضعه "سقراط" والخطابة عنده نوع من الجدل أو هي الجدل بعينه [2].

في عصرنا الحديث أخذ الحجاج مفهومًا واسعًا[3] فمع تطور الدراسات اللغوية والفكرية الحديثة، أصبح سمةً تصطبغ بها كل الخطابات اللسانية وغير اللسانية على حد سواء؛ ولذا نجد أنّ نظريات الحجاج في اللغة قد انبثقت من نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستن"بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وفي الكتابات الحديثة بات الحجاج موضوعًا قائمًا بذاته؛ له مصنفات مخصوصة، وعلماء متخصصون؛ وذلك لتفاعله مع كثير من النظريات اللغوية والفلسفية، فمن منظور هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معًا، مهما كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت طريقته في ذلك... ويُعدُّ الإقناع والإفحام محوري نظريات الحجاج عند أبرز المُنَظِّرِين الأوروبيين في العصر الحاضرمثل: "شايم بيرلمان" "ميشال مايير" ، "رولان بارث" و"ديكرو"...يتصدر هذا العمل التنظيري "مصنف في الحجاج"Traité de L’argumentation وهو عمل

[1] -نجيب بلدي، دروس في تاريخ الفلسفة، أعدَّها للنشر: الطاهر وعزيز و كمال عبد اللطيف، دار توبقال للنشر، البيضاء، المغربط1، 1987، ص65.

[2] - ينظر، أرسطوطاليس، كتاب الخطابة، ترجمة: إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1953 ، ص22-32.

[3] -- ينظر، جميل حمداوي،نظريات الحجاج، إصدار شبكة الألوكة www.aluka.net، ص24-32.

مشترك بين "بيرلمان" و"تيتكاه"وفيه عرّفا موضوع الحجاج بقولهما:«دراسة التقنيات الخطابية التي تمكن من إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدَمة »[1] يتبيِّن من ذلك أنَّ الحجاج يعتمد على طائفة من التقنيات الخطابية التي يقصد بها الباث استمالة المتلقين إلى القضايا التي تُعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، وقد ينحو الحجاج منحىً تأثيريًا في الآخَر فيدفعه إلى العمل بتلك الأطروحات .

وبالعودة إلى النسق العربي الإسلامي وما نشأ فيه من جدل فكري ومناظرات مذهبية وبخاصة بين الفرق الكلامية (المعتزلة الأشاعرة، الشيعة...) سنقف عند استعمالات مصطلح "الحجاج" لدى بعض العلماء المسلمين في استخدامه كمرادف للجدل والمناظرة؛ إذ في كتاب "المنهاج في ترتيب الحجاج" للفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي (تـــ474هـــ) يتبين من عنوانه استخدام المؤلف مصطلح الحجاج ليدلَّ على الجدل لأنَّه ألفه في فن المناظرة، وتعرض فيه أيضاإلى مسائل علم الأصول كما بيَّن آداب المناظرة وقواعدها وكيفية صياغة الحجج والدفاع عن الأصول المالكية والإجابة عن الاعتراضات عليها... كما صرَّح بأهمية الحجاج وعدِّه علماً من «أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال »[2]فالحجاج بهذا التوصيف مَهمَتُهُ بيان الحق وإقراره ودحض الباطل وإنكاره .

[1]- ChaimPerelman et L. OlbrechtsTyteca, Ia nouvelle rhétorique, Traité de L'argumentation –Préface De Michal Mayer -5eme, Edition De L'universite De Bruxelles, 1992, p5.

[2]-(أبو الوليد) الباجي،المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، مصر، ط 2،1987، ص 8.

أمَّا"أبو الحسن بن وهب"-أحد علماء القرن الرابع الهجري- فقد جعل الحجاج في كتابه " البرهان في وجوه القرآن"نوعًا من أنواع النثرونصُّ قوله في ذلك:«أمَّا المنثور فليس يخلو أن يكون ترسُلاً أو احتجاجًا أو حديثًا...»[1].

وفي حديثه عن المناظرةيستخدم "ابن خلدون" (تـــ 808هـــ) الجدل بمعنى الحجاج، بل إنَّه لَيُصرح بلفظ الاحتجاج وهو يعني به الحجاج، ويعدُّ الجدلمعرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم[2]. فالحجاج آليةمنآليات التناظر التي تنظم سيرورة بناء الاستدلال سواءً كان صحيحًا أو خاطئًا. وهذا الاستدلال لابد أن ينضبط بقواعد وآداب سمَّاها "ابن خلدون" جدلا؛ الأمر الذي يحيل إلى البعد الاخلاقي للجدل في تقويم مسار المناظرة التي تستهدف في جوهرها الكشف عن الحقيقة.

ثانيا-المناظرة

1. تعريف المناظرة

أورد "ابن منظور" المصريمايلي:« والتناظر في الأمر ونظيرك:الذي يراوضك وتناظره وناظره من المناظرة. والنظير: المثل.... ويقال: ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة »[3]تتحدد من خلال التعريفعدة سمات للمناظرة؛ أولها النِدِّيَةُ بين المتناظرين وثانيها التفاعل الخطابي بين المتناظرين في قضية معينة. ويحدُّها "الميداني" في قوله: «المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منها وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصادقة

[1]- (أبو الحسن إسحاق بن وهب) الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، ص150.

[2]-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدويش، دار البلخي دمشق، مكتبةالهدايةدمشق،ط1 2004، ص428.

[3]- ابنمنظور، لسان العرب، مادة (نظر)،ج 5، ص217.

بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره »[1].أهم ملمح لهذا التعريف أنه عملي يركز على حجاجية المناظرة، وبنائها المتطلب لوجود طرفين فأكثر ممّا يجعل المناظرة ممارسة حوارية تفاعلية بين متخاطبين كحد أدنى لإظهار الحق، يتشاركان في صناعة المعرفة عبر مسارات حجاجية؛ لهذا نجد الدكتور "طه عبد الرحمن" يؤكد أنَّ«كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة يسمَّى مناظرة»[2].

2. مركزية المناظرة في الثقافة العربية الإسلامية:

إنّ غنى معجم المناظرة في اللغة العربية لَيَدُلُّ على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي والتزامهم به أكثرمن غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها ونذكر من هذا المعجم بالإضافة إلى لفظي المناظرة والمحاورة المخاطبة، المجادلة، المحاججة،المناقشة، المنازعة المذاكرة، المباحثة المعارضة، المناقضة، والمداولة، والمداخلة... في معناها القديم.[3] والمتمعن للنسق التداولي العربي يتأكد من أنَّه انطبع بطابع المناظرة؛ ذلك أنَّ الاشتغال الفكري ارتبط في منشئه بعلمي الفقه والكلام، إذ كانت المحاورات محتدمة بين النحاة والمناطقة والمتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنحل حول مسائل عقدية وغير عقدية؛فقد حفلت الثقافة العربية الإسلامية بالمناظرة لكونها وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة وممارسة التفكير السليم[4].

---

[1]- عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي) ، دار القلم ، دمشق ، ط4، 1993، ص 371.

[2]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص81.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 69.

[4]-المرجع نفسه ، ص21.

3 ـ الكلام مناظرة عقدية

يتضمن علم الكلام«الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسرُّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»[1]. بهذا يكون علم الكلام التحقق الفعلي للمناظرة؛ بوصفه فعالية حجاجية لغوية في مسائل دينية،تهدف إلى المنافحة عن عقيدة (التوحيد) عقيدة أهل السنة، خالصة من البدع والمحدَثات قادرة على إثبات صحة مسائلها سواءً بين أصحاب الملة الواحدة (الفرق الإسلامية) أو بين أصحاب الملل الأخرى. وهذا أدى إلى رواج الصنعة الكلامية. فالعامل الديني هو ما غذّى نشوء هذا النوع من الخطاب الحجاجي كضرورة دفاعية. ولا ينبغي أن نغفل الصراعات السياسية التي أشعلت داخل الكيان الإسلامي الحاجة إلى المناظرات؛ فالخلاف حول الخلافة أو الإمامة فجّر خلافات عقائدية حول الأصول الكبرى للعقيدة، وبشيوع الحروب بين المسلمين أنذاك؛ ثارت مشكلة حد الإيمان والكفر،فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد إلى ترجيح مذهبه بالحجة. وفي عهد هشام بن عبد الملك (تـــ106هـــ) ظهر "القدرية" كـــــ"معبد الجهني" و"غيلان الدمشقي" و"الجعد بن دراهم"... ورفض هؤلاء القول بالجبر[2] الذي تبنَّاه الأمويون ليؤكدوا على حرية اختيار الإنسان...

وفي الفترة ذاتها، بدأت الحقبة الاعتزالية والتي تعد امتدادًا لدعوة "القدرية" الأوائل بين"الحسن البصري" ومُرِيدِه "واصل بن عطاء" الذي جعل مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين، ثمَّ اعتزل شيخه"الحسن البصري"

[1]- ابن خلدون ،مقدمة،ج2، 205.

[2]- ينظر، أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1990،ج1،ص10.

فظهرت فرقة "المعتزلة" [1]وممّا صاحب هذا الانفتاح وغذَّاه نشاط حركة الترجمة، فدخلت الفلسفة اليونانية الساحة الثقافية العربية زمن "الخليفة المأمون" في حدود القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي[2]. فانتقل المتكلمون إلى النظر في الأدلة والصياغة الفلسفية للعقيدة الدينية ...وتجاوزت المناظرات بذلك حدود النسق العقدي الأحادي الإسلامي الصرف بل تعدَّته إلى «حوار أديان من غير مجاملات أو مداهنات»[3]عبَّرت عن انفتاح المجتمع العربي الإسلامي على أنساق ثقافية غير إسلامية، الذي توسل هذه المناظرات للدفاع عن اختياراته العقدية ومجادلة الآخر ومناقشته لإثبات تلك الاختيارات بالبراهين العقلية بناءً على براديغم قدسي ورمزي محدد يقارب قضايا الوجود والكون والإنسان من منطلق عقيدة التوحيد.

أدت آلياتُ النظر والحوار في "علم الكلام" بالمتكلمين إلى إنشاء أسس آداب البحث والمناظرة لذلك يسمِّي"طه عبد الرحمن"علم الكلام: «علمَ المناظرة العقدي »[4]وعياً منه بقيام هذا العلم على فعالية المناظرة، بل إنَّها خاصية انطبع بها الكلام.وهذا ما يُفسِّر التواشج الوثيق بينهما.

4ـ بنية المناظرة:

تعدُّ المناظرة جنسًا أدبيًا فكريًا، وهذا ما يمنحها خصوصية من حيث بنيتُها؛ فهي قائمة على «خطابين متباينين يتبادلان الأدوار الكلامية وينتمي كلّ

[1]- ينظر، أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في التعليم وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، دار الكتب، ط1، 1985، ص 21-22.

[2]- ينظر، حسن ناعمة و كلود بوزورث، تراث الإسلام ، ترجمة: حسن مؤنس و إحسان العمد، عالم المعرفة الكويت، 1978، ج2ص40.

[3]- شوقي أبو خليل، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ط1994 ص60.

[4]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 70.

منهما إلى أحد الطرفين المتناظرين، وينمو النصّ ويتوالد بفعل تبادل الأدوار الكلامية بين الطرفين حسب قانون الفعل وردّ الفعل»[1] فالمناظرة مقام يسمح بالتفاعل بين الذوات، ويفسح الباب على مصراعيه لتلاقح الأفكار ومقارعة الحجة بالحجة، ويحيلنا هذا التوصيف إلى تحديد العناصر الأساسية التي تُبنى عليها المناظرة.

4 ـ1ـ أركان المناظرة:

تقتضي بنية المناظرة وجود أربعة أركان[2] وهي:

أ- موضوع وهو قضية أو مسألة البحث التي يُتناظَر حولها.

ب- فريقان متعارضان: يتباحثان حول موضوع المناظرة أوّلهما؛ مؤيد للموضوع، وداعم للقضية ومدافع عنها، ويعرف بـــ فريق "الموالاة" أو "الادّعاء".

أمَّا الفريق الثاني فيعارض موضوع المناظرة ويُفنِّد أطروحة فريق "الموالاة" وحججه، ويُسمّى فريق "المعارضة".

ج-الحَكَم أو الحُكام وهم من أهل العلم والخبرة في موضوع المناظرة.

د ـــــ جمهور المستمعين أو المشاهدين (في المناظرة الواقعية) أو القُراء (في المناظرة المُتَخَيلة). ولمَّا كان غرض المناظرة الكلامية إظهار الحق، ومآلها يكون بعجز أحد المتناظريْن فلابد لكل من الجانبين من آداب ووظائف .

4-2- أخلاقيات التناظر وأدبياته:

ينبغي أن يتحلى المتناظران بآداب؛ أهمها:

---

[1]- عبد الله العشي، زحام الخطابات (مدخل تطبيقي لأشكال الخطابات) ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو،2005 ص36.

[2] - ينظر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 374.

- ❖ أن يقصد المتناظران إظهار الحق والاعتراف به؛لأنَّ«أوّل ما يجب [في المناظرة] تقديم التقرب إلى الله عز وجل ومجانبة الرياء والمباهاة والمحك واللجاج والتكسب، وأن يجري في ذلك مجرى المؤتمر لما أمره الله تعالى به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... »[1].فتكون المناظرة بهذا التوصيف عملاً تعبديًا.
- ❖ أن يكون المتناظران متقاربين معرفيًا واجتماعيًا وتداوليًا؛ حتى لا يستعلي أحدهما على الآخر.
- ❖ أن يمهل المناظِر خصمه حتى يستوفي مسألته.
- ❖ أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل؛ فيحذر« استصغار الخصم والاستهزاء به كائنًا من كان ... ومتى استخففت به لم تتحرز ولم يجتمع ذهنك ولا تكون آمنًا أن يتفق عليك ما لا يمكنك أن تدفعه عن نفسك»[2]كما يجب عليهما«تجنب الضحك ورفع الصوت»[3]وكلما من شأنه إظهار السفاهة التي تمس بمصداقية المناظرة.
- ❖ أن يتحرّز المتباحثان إطالة الكلام لأنَّ «الزلل...مقرون بالإكثار»[4]ولا يبالغ في الاختصار؛ لئلا يخل بالمعنى.

4-3 تداوليات المناظرة:

من خلال شروط المناظرة يتبين لنا أنَّها فعل حجاجي/تكلمي،يدخلها في نظرية التداولية التي تقوم - في أساسها - على الجدل المبنيعلى علاقة

---

[1]- أبو الحسن الأشعري، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ، تحقيق دانيال جيماريه ، دار المشرق، بيروت، 1987، ص293.

[2]- الأشعري، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص317-318.

[3]- طاش كبرى زاده، شرح آداب البحث، مجلة المناظرة، السنة الثانية، العدد3،1990، ص21.

[4]- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص9.

التخاطب بين المدَّعي والمعارض حول موضوع المناظرة؛ يقدِّم المتكلم دعواه التي يعتقد جازماً صحتها، ويعضدها بالأدلة والبراهين لإقناع الآخر، فيعترض المستمع بـــ « مقابلة الدليل بدليل آخر ممانع للأول في ثبوت مقتضاه »بمعنى أنَّه يعمد إلى هدم الدعوى المقدمة من لدُن المدَّعي بإقامة الحجة على نقيضها ويشترط في الطرفين الصدق في الدعوى، أمَّا المفاهيم فهي قابلة للتكذيب أو التخطئة.فتكون المناظرة بهذا العود **علم كلام**؛ إذ لا كلام إلا بين اثنين ولو كان كلام المرء مع نفسه ولا اثنين إلا عارض ومعترض، ولا عارض إلا بدليل، ولا معترض إلا لطلب الصواب، ولا طلب للصواب إلا بجملة من القواعد[1] التي سبق ذكرها. ويتأكد ذلك بنظر المتكلمين في مسائل وقضايا الخلاف العقدي وفي مقدمتها الصفات والأسماء الإلهية والإمامة...

ثالثاً : الاشتغال الحجاجي في المناظرة الكلامية

1ـ حول مناظرة أبي الحسن الأشعري والجبائي :

1.1ـ ماهيتها:مناظرة كلامية بين:

- **الجُبَّائي**[2] وهو الشيخ أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أصله من "جُبَّى" إحدى قرى البصرة. ولد سنة (235هـــ /849 م) وتوفي سنة (303هـــ/916 م). من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه تنسب الطائفة الجُبَّائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب.
- **الأشعري**[3]تلميذالجُبَّائيوربيبه علي بن إسماعيل بن إسحاق أبي الحسنمن نسل الصحابي الجليل أبي موسىالأشعري، ولد بالبصرة

[1] ـ ينظر، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص91.
[2]- ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002، ج 6، ص256.
[3]- ينظر، المرجع السابق، ج4، ص 263.

سنة (260هـ / 874 م). وتلقى مذهب المعتزلةوتقدَّم فيهم ثمَّ رجع وجاهر بخلافهم وألَّف عديد المصنفات في الرد على الفكر الاعتزالي أسس مذهب الأشاعرة، ونشره في الأمصار، توفي ببغداد سنة (324هـ / 936م).

وهي المناظرة الحادية والمائة التي أوردها أبي علي عمر السكوني (ت717هـ / 1317م) في كتابه الموسوم "عيون المناظرات"؛ تعبِّرالمناظرة عن اختلاف مذهبين في علم الكلام هما (المعتزلة/الأشاعرة) في مسألة أسماء الله تعالى أتوقيفية هي أم اصطلاحية؟

2.1 قيمتها:

"عيون المناظرات" يعد بحق المصنّف الوحيد الذي أُفرِد اختصاصًا للمناظرات الكلامية. فجُمِع فيه كثير مناظرات، وقد حققه سعد غراب. وصاحب "عيون المناظرات "عمر بن محمد بن حمد بن خليل أبو علي السكوني(ت717هـ / 1317م) مقرىء و فقيه مالكي، وهو أشعري العقيدة، ألَّف عدَّة كتب في علم الكلام [1].وكلها تعكس سعة علمه وقوة منهجه وكل كتابة متميزة عن غيرها وإن كانت جميعها في علم أصول الدين[2]. وفي سياق اتجاهه الإصلاحي - كما سيأتي الذكر- سلك "السكوني" في "عيون المناظرات" مسلكًا تقريبيًا قلّ سالكه في هذا العلم، فأورد المناظرات التي اعتمد أصحابها منهجًا جدليًا تجاوزيًا قصد إفحام الخصوم، ونصرة الاعتقاد الصحيح، ولهذا آثار عظيمة في تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب المسلمين وفي دفع الشبهات الواردة على أذهانهم.

[1]- ينظر، المرجع نفسه، ج5، ص 63.

[2]- ينظر، لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام أبي علي عمر السكوني، تحقيق: سعد غراب، حوليات الجامعة التونسية ، العدد12، 1975 ، ص113.

3.1. سبب تأليفها

لقد كانت غاية السكوني من تأليف هذا الكتاب دينية، كدأب كل علماء السلف؛ وعن ذلك يصرِّح: «فقصدت إلى تعريفه [علم الكلام] بطريق ترغب في سمعه الآذان ويسهل مدركه على الأذهان [ويحمل على تحصيله مَن به] أراد معرفة حقائق قواعد الإيمان »[1]غير أنّ المحقق يعلل هذه الإفاضة في إيراد المناظرات عند "السكوني" بوعي هذا الأخير بالانحطاط الكبير السياسي والحضاري للمسلمين، فقد عايش طرد الأندلسيين أثناء حروب الاسترداد المسيحية وبعد تداعيات هزيمة الموحدين في معركة العقاب (عام609هـ /1212م) فلم تبق إلا المناظرة و« الكلام سلاحًا أخيرًا يمكن الاستعانة به»[2] للحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية في ظل ذلك الاجتياح المسيحي.

وبالعودة إلى مقالة "السكوني" التي أبان فيها عن غايته من تأليف"عيون المناظرات" أي التعريف بعلم الكلام وبيان طرائقه في الذبّ عن أصول الاعتقاد الصحيح، نستشف من ذلك توخيه إستراتيجية من إستراتيجيات الخطاب وهي***إستراتيجية قصد الإخبار:** إذ الكلام حسب جاكبسون«jackobsonيجب أن يُدرس من خلال وظائفه ولمعرفة هذه الوظائف وجب أن نلقي نظرةً وجيزةً على العوامل المقوِّمة لكل أداء لساني أو عملية تبليغ لفظية، هناك مرسل يرسل خطابًا إلى مُخاطَب ولكي يكون هذا الخطاب فعالاً لابد أن يكون مُحالاً على سياق، وهذا السياق يجب أن يُدرَك من

[1] ـ أبو علي عمر السكوني ، عيون المناظرات، تحقيق : سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1976، ص 14.

[2] ـ أبو علي عمر السكوني، عيون المناظرات .Introduction de Sâad Ghrab p109

المخاطب، ويكون إمَّا لفظيًا أو قابلاً للصياغة اللفظية...»[1] ويُشكِّل الإخبار القصد والغرض من التخاطب بصفة عامة. والذي هو أحد تجليات الفكر حيث يلتقي مفهوما الإخبار و التواصل في العلاقة الداخلية بين المتكلم والمخاطب. وقد اعتمد "السكوني" من أجل عملية الإخبار مسارًا حجاجيًا استدلاليًا تكون البداية فيه بالإخبار، والقصد منه نقل حيثيات المناظرة،والانتصار لمرجعيته العقدية (الأشعرية) وبيان سبقها وحجِّيَّتها بواسطة الإخبار عن انقطاع المخالف (المعتزلي).

2 ـ البنية العامة للمناظرة:

1.2. الأركان الكلية للمناظرة:

يمكن تفصيل تلك الأركان تطبيقيًا وفق ما يلي:

أ ــ الموضوع:أو قضية الاحتجاج في مناظرة أبي الحسن الأشعري للجُبَّائي حول توقيفية تسمية الحق سبحانه.

ب ــ المتناظران:الجُبَّائي المعتزلي ينفي إمكانية تسمية الله بالعاقل ويستدل على ذلك، والأشعري يعترض على استدلال الجبّائي في نفيه للتسمية فاعتراضه على مضمون الدعوى وتحديدا على إحدى مقدمات الدليل.

ج ــ الحَكَم: لم يذكر "السكوني" حَكَمًا لهذه المناظرة .

د ــ الجمهور: المناظرة لم تجمع المتناظرين في فضاء عام بحضور مستمعين إلا رجلا واحدًا ذكر "السكوني" أنّه هو سبب المناظرة بوصفه المبادر إلى سؤال الجُبَّائي عن علة منعه تسمية الله بالعاقل.لكنّ"السكوني" نقل مجريات

[1] ـ محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر، 1983، ص200.

المناظرة في إطار إستراتيجية قصد الإخبار؛ وهذا كفيل بجعل القراء بمثابة جمهور افتراضي بل و حَكَمٍ قادر على إصدار الحُكم بغلبة طرف على الآخر.

2 ـ2 ـالأركان الجزئية للمناظرة:

2 ـ2 ـ1 ـ افتتاح المناظرة :

افتتح "السكوني" المناظرة بالإخبار عن إتيان رجل و سؤاله "الجبّائي" - بحضور الأشعري - عن سبب منعه تسمية الله تعالى بالعاقل قائلاً: « لِم منعت أن يتسمى البارىء تعالى عاقلا»[1] فكان السؤال بحق هو الإستراتيجية الأولى التي انبنى عليها فعل التناظر وبها افتتح؛ وذلك بالنظر إلى ما ينطوي عليه الاستفهام من مقصدية لإثارة الخلاف، ورسم حدود فاصلة بين المتناظرين.على أنَّ هذا السؤال تحديدًا ذو طابع استعلامي فكأنّ الرجل يطلب به جوابًا لا خلافًا وتناظرًا، ومعلوم أنَّ «مِنَ الاستفهام ما يكون سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمه»[2]. ومع ذلك فإنَّ حضور "الأشعري" أذكى الخلاف؛ إذ«ليس هناك إلا السؤال لتغذية البحث»[3]وغير خافٍ أنَّ عملية الحجاج والإقناع لا تبدأ إلا حينما تبرز الأسئلة، فالقضايا محل السؤال هي القضايا محل الخلاف وبالتالي التي تستوجب بناء الاستدلالات وحشد الحجج لبلورة المواقف. كما يمكن أن يكون لهذا الاستفهام ــ بوصفه تَصَدَّرَ المناظرة ــ بعدًا فُرجويًا وهذا هو الأصل في المناظرة إذ«نادرًا ما تكون الأسئلة فيها محايدة ومحض إخبارية »[4]فيكون القصد من مبادرة الرجل بالسؤال أن يُعلن بدء المناظرة

---

[1]- السكوني ، عيون المناظرات ، ص228.

[2]- إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان ، ص 94.

[3]- Michel Meyer, De la Problématologie , Philosophie, science et language, Paris le livre de poche,1994 , p234.

[4] - Oléron, pierre, Organisation et articulation des échanges de paroles , éditions de l'université de Bruxelles , 1986 , p 68.

وشحن أجواء التباحث و« تهييج البراز في المعركة»[1]ولعل هذا جلي في الطور الأول من أطوار المناظرة - الافتتاح - كوسيلة لإقحام الأشعري في المواجهة واستدراجه للنزال.

2.2.2. الادّعاء:

وهو فعل تكلمي يدَّعي فيه المتكلم صدق ما يعتقد ويُطالب خصمه بأن يصدق بدوره هذه الدعوى[2] من خلال الدليل،ويكون الادِّعاء إجابة عن سؤال الخصم فتحتد المناظرة ويسترسل كل مناظِر في تجنيد حججه وبناء استدلالاته فيتشابك الأمر بين الطرفين والادِّعاء في المناظرة.

3.2.2. المنع:

وهو فعل تقويمي استشاري إدباري استجابي تكلمي تشكيكي بموضوع الادِّعاء[3]وهذا فِعْل "الأشعري" حينما اعترض على استدلال "الجُبّائي" قائلاً«إن كانت العلة هذه فلا يُسمَّى البارىء تعالى حكَمًا»[4] فاعتمد على أسلوب الشرط المتضمن للنفي لدفع الحجة ورد الدعوى بل باعتماده على تضمين النفي في جملة جواب الشرط وجّه الدعوى وجهة أخرى، وكان منع الأشعري مقروناً بالسند بغرض تقويته وسيأتي بيان ذلك في حينه.

4.2.2. انتهاء المناظرة:

بعد عمليتي الادِّعاء والمنع التي خاضها المتناظران بالعَرْض والاعتراض تارةً وبالإثبات والنفي تارةً أخرى في سياق التداول قطعا، ولأنَّ

---

[1]- أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة، ضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية
بيروت،لبنان، ص109.
[2]- ينظر، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،ص75.
[3] - المرجع السابق، ص 76.
[4] - أبو علي السكوني، عيون المناظرات، ص 228.

المناظرة ليست جحودا لا متناه أو معاندة غير منقطعة فهي محكومة بتحصيل فائدة وبلوغ غاية فلابد استلزامًا أن تؤول المناظرة إلى أن يعجز المعلل عن إقامة الدليل على مُدَّعاه ويسكت عن المناظرة، وذلك السكوت هو الإفحام في اصطلاحهم، أو أن يعجز السائل عن التعرض للمعلل، وذلك العجز هوالإلزام على اصطلاحهم والإفحام أو الإلزام علامة انتهاء المناظرة؛ ومردُّ ذلك أن لاقدرة للمعلل و السائل على إقامة وظائفها لا إلى نهاية لعدم وفاء الطاقة البشرية[1].فبعد متواليات حجاجية عدَّة كان مآل مناظرة الأشعري للجبّائي الانغلاق بسكوت هذا الأخير« فسكت الجبّائي ولم يرد عليَّ جوابًا» [2]وذاك أوضح علامة على إفحام الأشعري له وانقطاعه.

3ـ حجاجية مناظرة الأشعري للجُبّائي:

تأسست هذه المناظرة من بدايتها إلى نهايتها على الحجاج؛ إذ ينظر إلى« الخصومة الدائرة في المناظرة على أنّها خطاب ذو فعالية جدلية؛ لأنَّ هدفها إقناعي قائم على استلزام صور استدلالية من أغنى وأوسع البيانات البرهانية الضيقة، وأن يُفهِم المتكلم المخاطَب معاني غير تلك التي نطق بها تعويلا على قدرة المخاطَب استحضارها إثباتًا أو إنكارًا»[3]. ولاشك أنَّ كل قول من الأقوال قائم على المجادلة والاستدلال ومحاولة إقناع كل طرف متكلم للآخر من خلال أساليب وتكرارات وروابط حجاجية .

[1] ـ ينظر، طاش كبرى زاده، شرح آداب البحث، ص21.
[2] ـ السكوني، عيون المناظرات، ص228 -229.
[3] ـ ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص65.

3.1ـ مركزية السؤال في مناظرة الأشعري للجُبّائي وحجاجيته:

اقتصرت الأسئلة في المناظرة المقصودة على سؤالين؛ الأوّل ما ذكرناه مندرجًا في طور الافتتاح، أما الثاني فأتى في طور المدافعة« قال [الشيخ] أبو الحسن: فقال أي الجُبّائي: فلِمَ امتنعتَ أن تُسمِّي البارىء تعالى عاقلاً؟»[1] يحظى السؤال باشتغال مركزي في المناظرة، يبسط شبكتها عبر كل أطوارها فـــ«دون سؤال نكون خارج النقاش »[2]فالسؤال هو محرّك السجال والمناظرة بوصفها مطارحة معرفية فإنّ بناء قضاياها يتوقف على الإنتاج المستمر للأجوبة عن الأسئلة المطروحة؛ لهذا تكرر استعمال المتناظرين لأداة الاستفهام (لِمَ) + الفعل الحجاجي (مَنَعتَ / امتنعتَ) وهذه المعادلة تستند إلى توظيف الأفعال في صيغة المخاطب المفرد المذكر لجعل الكلام أكثر مباشرةً ولدفع المخاطَب إلى الإجابة؛ وبالتالي توليد الأفكار و تغذية البحث وإثراء المناظرة وصولاً إلى الحق عن طريق التصعيد والاسترسال في إيراد الدليل. وبالعودة إلى سؤال الجُبّائي فهو مرتبط بالتبرير Question deJustification بمعنى أنَّه يطالب الأشعري بالحجة على اعتراضه عليه، فيلجأ المانع (الأشعري) إلى إبطال الدليل الذي أقام عليه المعلل (الجُبّائي) دعواه ويكشف وجوه فساده. ففي المعارضة يقوم المانع بـــمقابلة الدليل بدليل آخر مضاد يدحض الأوَّل وهذا تحديدًا ما فعله الأشعري عندما هدم استدلال الجُبّائي بعد أن بيَّن عوار حجته.

---

[1]ـ السكوني ، عيون المناظرات ، ص 228.

[2]- Michel Meyer,Pour Une anthropologie rhétorique, éditions l'universitéde Bruxelles, 1986,p128.

2.3ـ الخاصية المباشرة للحوار في المناظرة:

يفضي الإقرار بجدلية المناظرة بوصفها قائمة على فعل التساؤل والمخاطبة المباشرة إلى التسليم بحوارية المناظرة. ذلك أنّ هذا التفاعل الكلامي الحاصل بين مُدَّعٍ ومعترض يتخذ صيغة المواجهة الحجاجية المباشرة؛ وما يثبت ذلك اعتماد المناظرة على السؤال والجواب، وهما مؤشران على حضور الذوات المتفاعلة (المتناظرة) وحالية الجدال فبدء بالسؤال هو تفاعل حي للأنا مع +الآخر، ويتصعد هذا التفاعل بانخراط الطرف المحاور في النقاش بالجواب « فقال له [الرجل]: لم منعت أن يتسمى البارىء تعالى عاقلا؟ فقال الجُبَّائي لأنَّ العاقل في اللغة مأخوذ من العقال... قال أبو الحسن فقلت له: إنَّ كانت العلة هذه فلا يسمى البارىء تعالى حكمًا...»[1] فالحوار متحقق من بداية المناظرة حتي آخرها « فقال أي الجُبَّائي: فلِمَ امتنعت أن تسميَ البارىء تعالى عاقلا ؟ فقلت له: من أجل أنَّ التوقيف لم يرد به وإنَّما [أخذت أسماؤه] تعالى توقيفًا...قال: فسكت الجُبَّائي ولم يرد عليَّ جوابًا »[2]. هذه الصفة الحوارية للمناظرة لا يجلوها مؤشر السؤال والجواب فقط بل ومؤشر الضمائر التي تحيل هي الأخرى إلى الذوات الفاعلة في المناظرة، وتدل على العلاقة التخاطبية بين متحاورين يتقاسمان ملكية الكلام فلا تكون الأنا وحدها مصدر القول ومنبعه [3]ففي مناظرتنا تمَّ توظيف ضميري المتكلم والمخاطب المفرد(تاء الفاعل وتاء المخاطَب) حصرًا

---

[1]-االسكوني، عيون المناظرات، ص228.

[2]-المرجع نفسه، ص 228-229.

[3]- ينظر، فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة : سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، ط1، 1987 ص111.

وهذا استحضار لشخصي المتكلميْن؛ المعتزلي والأشعري بكل ما لهما من خلفيات فكرية وعقدية و فلسفية متباينة؛ فالمعتزلي ينفي تسمية الله تعالى بالعاقل باستدلاله الخاص فيعترض الأشعري على الاستدلال نفسه ويهدمه هدمًا وللضمائر دور في التناوب بين المتحاوريْن في العرض والاعتراض؛ ذلك أنَّ الخطاب بطرفين ليس غايته «مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنَّما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادِّعاء والاعتراض؛ فالذي يحدد المعنى هو العلاقة الاستدلالية»[1]. وببسط كل طرف لحججه بالتناوب فتتكوثر المناظرة حتى تنغلق وهذا دأب كل المناظرات.

3.3ـ النفي آلية للنقض في المناظرة

النفي أسلوب لغوي يُراد به نقض الفكرة أو الدعوى، وهو عند اللغويين« عبارة عن الإخبار بعدم صدور الفعل »[2].ولأنَّ المناظرة مجادلة قائمة على الادِّعاء والمنع، فاستخدام النفي لاغنى عنه لقلب اعتقاد المعانِد و دحض حجته وبالتالي قطع ادِّعاته. فالنفي يؤطر المناظرة ويشوش على التصديق والحيلولة دون إيقاعه بامتحان الدعوى تمهيدًا للصرف عنها وتغيير الفِكَر. والصيغ التي تؤدي النفي في اللغة العربية إمَّا أن تكون أدوات نفي بسيطة (ما - لم - لن - ليس) أو مركبة تتألف من إحدى هذه الأدوات وأداة الحصر(إلاَّ) وأسماء عدَّها المتوكل شبه نافية مثل:أبدًا - أحد - قط[3] . ويمكن حصر ذلك بالمقطع الآتي:«**لا** يُسمَّى البارىء تعالى حكما... قلتُ [الأشعري] له: من أجل أنَّ التوقيف **لم** يرد به و**إنما** أخذت أسماؤه توقيفًا فلو ورد **لم**

---

[1] ـ ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص226.

[2] ـ الجرجاني، التعريفات، ص 240.

[3] ـ ينظر ، أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية – مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية ، مطابع منشورات عكاظ ،الرباط ،1993 ، ص80-90.

أمنعه إذ العقل ضرب من العلم و**ليس** تستحيل التسمية به على وجه من الوجوه. فسكت الجُبَّائي و**لم** يُرِد عليَّ جوابًا»[1]ففي اعتراض الأشعري على علة منع تسمية الله تعالى بالعاق لبدأ موظفا النفي بـــ(لا) لجحد أو إنكار صحة استدلال الخصم (الجُبّائي) فالنفي في المناظرة فعل ارتجاعي؛ إذ يصدر من صاحبه كرد فعل على قول خصمه [2]ولم يقف عند الجحد بل بنى استدلالا على صحة دعواه لـــتأكيده. فبالنظر إلى الدلالات اللغوية لا يصح تسمية الله تعالى بالعاقل لأنّه مأخوذ من العقال وهو المانع و قياسًا عليه لا يصح تسميته تعالى بالحكم لأنَّه مأخوذ في اللغة من حكمة اللجام وهي الحديدة في فمِّ الدابة. فنقض "الأشعري" بالقياس المضاد دعوى "الجُبّائي" ما دفع هذا الأخير إلى سؤال "الأشعري" عن علة منعه لتسمية الله تعالى بالعاقل. فأجاب "الأشعري" بنفي ورود الاسم (العاقل) في النصوص النقلية بتوظيف الأداة البسيطة (لم)«من أجل أنَّ التوقيف **لم** يرد به »[3]. فحجة الأشعري في نقضه قائمة على النفي المؤسس على غياب النص الشرعي وليس أدّل على ذلك قوله: « فلو ورد **لم** أمنعه إذ العقل ضرب من العلم و**ليس** تستحيل التسمية به على وجه من الوجوه »[4]. ثمَّ ذهب أبعد من ذلك حينما نفى بـــ (ليس) استحالة صحة التسمية، بل واستدل على إمكانيتها بوصف العقل ضربًا من العِلم، لكن مناط الاعتراض كله قائم على انتفاء وجود الدليل النقلي.

[1] ـ أبو علي عمر السكوني ، عيون المناظرات ، ص228 -229.
[2] ـ ينظر ، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص43.
[3] ـ السكوني ، عيون المناظرات ، ص228 -229.

[4] ـ المرجع نفسه.

4.3ـ إستراتيجيـــة المداخل اللغوية:

ويكون باعتماد المداخل اللغوية في إثبات مسألة ما، واستثمار القواعد النحوية والبلاغية لتأكيدها، وهي طريقة درج عليها العلماء وأهل النظر من اللغة من العارفين لإثبات مزية أحدهم على الآخر[1] فاستدلال الجُبّائي على حظر تسمية الحق تعالى بالعاقل بناه على دلالات البنية المعجمية لاسم (العاقل)؛ إذ يقول:«لأنَّ العاقل في اللغة مأخوذ من العقال وهو المانع فلما استحال المنع على الله تعالى لم نسمِّه عاقِلاً»[2] ولينقض "الأشعري" دعواه، وظّف الإستراتيجية ذاتها فقال:« لأنَّ الحكمة في أصل اللغة مشتقة من حكمة اللجام وهي الحديدة التي في فم الدابة تمنعها من السير ومنه سُمِّي الحاكم حاكمًا لمنعه من الظلم[3].

5.3ـ حجاجية الشاهد الشعري:

الشواهد هي مجموع المأثور الجمعي لأمة من الأمم،وفي الثقافة العربية الإسلامية هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية والأمثال والحكم. هذه الأقوال تشكِّل سلطة مرجعية معترفًا بها فهي «حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها»[4]ولهذا حظي الشاهد بسلطة حجاجية في الثقافة العربية الإسلامية وخاصةً الشاهد الشعري الذي تعاظم نفوذه ومصداقيته على غيره؛ بوصفه

---

[1] ـ ينظر، علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (مدخل في الإشكال و الإستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1 2001، ص310.

[2]ـ السكوني، عيون المناظرات، ص228 .

[3]ـ المرجع نفسه.

[4] ـ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجًا ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،ط1986،1،ص65.

ديوان العرب ولكونه وُظِّف لتفسير القرآن الكريم. وفي المناظرة العقدية عُدَّ الشاهد الشعري حُجَّة في ردع الخصم وإفحامه وهذا تحديدًا ما حدث في مناظرة الأشعري والجُبَّائي؛ إذ استند الأشعري في نقضه لدعوى الجُبَّائي على توظيف بيتيْن شعرييْن توخيًا للاحتجاج اللغوي.« قال أبو الحسن فقلت له: إن كانت العلة هذه فلا يُسمَّى الباري تعالى [حَكَمًا] لأنَّ الحكمة في أصل اللغة مشتقة من حكمة اللجام وهي الحديدة التي في فم الدابة،تمنعها من السير؛ ومنه سُمِّيَ الحاكم حاكمًا / لمنعه من الظلم، قال جرير[الكامل]:

أبي حنيفة **أحكموا** سفهاءكم إنِّي أخاف عليــكم أن أغضبا

أي امنعوا.

وقال حسان بن ثابت [الوافر]:

فنحكم القوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

أي [فَـــــنَمْنع]»[1]هذا التوظيف لبيتي "جرير" و"حسان بن ثابت" له خلفيات معرفية ووجدانية ومعلوم قدر هذين الشاعرين في الوعي الجمعي العربي؛ ممَّا يجعل لشعرهما مقبوليةً عند المتلقي وبالتالي فالاستشهاد ببيتيْهما حجة مضادة ترفع درجة النقض وتقوي القيمة الحجاجية لموقف "الأشعري".

6.3ـ إستراتيجية الروابط الحجاجية:

يُسمِّيها "ديكرو" الروابط الحجاجيةConnecteurs argumentatifs ويقصد به الربط أو الوصل وهي الوحدات اللغوية أو المورفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين، سواءً تعلق الأمر بالظروف (مع- ذلك- رغم...) أو

[1] ـ السكوني، عيون المناظرات، ص228.

العطف (الواو، الفاء...) أو الإتباع بالصلة (لأنّ، بما أنَّ غيرأنَّ...) [1]ويُعدُّ استعمال هذه الروابط في الخطاب من الأشياء المهمة كونها تؤدي دورًا في اتِّساق النصّ وربط أجزائه بالمعنى.في مناظرتنا وُظِف الإتباع بالصلة (لأنَّ) وتكرر مرتين في افتتاح كل من الجُبّائي والأشعري وقد ربطت هذه الأداة بين الحكم (منع تسمية الله تعالى بالعاقل) وبين استدلال كل طرف.

الخاتمة:

يمكن إجمال مخرجات البحث فيما يلي: إنَّ دراسة مناظرة الجبائي والأشعري أتاحت لنا إثبات فرضية كون المناظرة العقدية فعالية حجاجية تداولية بامتياز، أفرزها مناخ فكري وحضاري وثقافي خاص، و أطّرها براديغم قدسي مُمَثلا في نصوص الوحي الإلهي، وضبطت منهجها آليات منطقية وأنماط استدلالية، وحتى آداب ومشروطيات أخلاقية تنأى بها عن العشوائية، بل تقصد بها إلى غاياتها الأساسية وهي الدفاع عن أصول الدين الإسلامي و إقناع الآخر في إطار ثقافة الحوار معه دون حَجْر أو تعسف.

قائمة المصادروالمراجع

أولاً: المراجع العربية

1- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار البلخي دمشق، مكتبة الهداية، دمشق، ط1 2004.

2- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 6، 1997، مج 2.

3- أرسطو طاليس

- كتاب الخطابة، ترجمة: إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1953

[1] ـ القزويني ، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح: محمد دويدري، دار الجيل، لبنان، ط2، 1982، ص175.

- منطق أرسطو، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، لبنان، ط1 1980.

4- أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1987.

5- الإسفراييني (أبو المظفر) ،التبصير في التعليم وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب، ط11985 .

6- الأشعري (أبو الحسن)

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،صيدا بيروت، 1990،ج1 .
- مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك تحقيق: دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، 1987.

7- أفاية نور الدين، الآخر في التصور العربي الإسلامي (في المناظرة وآلية الحكم)، مجلة الصورة، السنة الثانية، العدد الثاني ، خريف 1999.

8- الباجي (أبو الوليد) ،المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، مصر، ط 2 1987.

9- بلدي نجيب، دروس في تاريخ الفلسفة، أعدَّها للنشر: الطاهر وعزيز و كمال عبد اللطيف، دار توبقال للنشر، البيضاء المغرب، ط1، 1987.

10- بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر،1983.

11- التفتازاني سعد الدين، شرح العقائد النسفية، تحقيق: مصطفى المرزوقي، دار الهدى، الجزائر، 2000.

12- التوحيدي أبو حيان،الإمتاع والمؤانسة، ضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية،بيروت.

13- الجابري محمد عابد، نقد العقل العربي (1) تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت البيضاء، ط4، 1991.

14- الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 2000بيروت، لبنان.

15- حملاوي جميل، نظريات الحجاج، إصدار شبكة الألوكة www.aluka.net.

16- الرازي فخر الدين

- المناظرات، تحقيق: عارف ثامر ، مؤسسة عز الدين لطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992 .
- مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر العربي للطباعة والنشروالتوزيع، طـ 1981.

17- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002، ج 6.

18- السكوني (أبو علي عمر)، عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976.

19- الشبعان علي، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (مدخل في الإشكال والإستراتيجيات)، دارالكتاب الجديد، بيروت، ط1 2001.

20- الشنقيطي محمد الأمين، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، القسم الثاني .

21- شوقي أبو خليل، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1994.

22- الصديق حسين، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشرلونجمان، القاهرة، ط1، 2000

23- طاش كبرى زاده، شرح آداب البحث، مجلة المناظرة، السنة الثانية، العدد3، 1990.

24- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

25- العشي عبد الله، زحام الخطابات (مدخل تطبيقي لأشكال الخطابات)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2005.

26- العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجًا ، دار الثقافة للنشروالتوزيع، الدار البيضاء،ط1، 1986.

27- غراب سعد، لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام أبي علي عمر السكوني، تحقيق: سعد غراب، حوليات الجامعة التونسية، العدد12، 1975 .

28- الفجاري مختار، الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم) ، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1 2009.

29- الكاتب(أبو الحسن إسحاق بن وهب)، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر.

30- الكلنبوي إسماعيل، رسالة في آداب البحث والمناظرة، مجلة المناظرة، السنة الثالثة، العدد الخامس، يونيو، 1992.

31- مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع، مصر الجديدة، 1934، ج1.

32- المتوكل أحمد، الوظيفة والبنية – مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظالرباط، 1993.

33- الميداني عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي) ،دار القلم ، دمشق ، ط4، 1993.

34- ناعمة حسن و كلود بوزورث ، تراث الإسلام، ترجمة: حسن مؤنس و إحسان العمد، عالم المعرفة، الكويت، 1978 ج2.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- ChaimPerelman et L. Olbrechts Tyteca ,Ia nouvelle rhétorique, Traité de L'argumentation –Préface De Michal Mayer -5eme, Edition De L'universite De Bruxelles , 1992 , p5.

2- Michel Meyer ;
- Pour Une anthropologie rhétorique, éditions de l'université de Bruxelles , 1986 , p128.
- De la Problématologie , Philosophie, science et language , Paris , le livre de poche1994.

3- Oléron, pierre , Organisation et articulation des échanges de paroles , éditions de l'université de Bruxelles , 1986.

4- Oswald. Ducrot:Dire et ne pas Dire , Hermann, Paris ,1980.